أركـان للدراسات والأبحاث والنشر
Arkan for Studies Research and Publishing

الهجرة في البلقان:
طريق اللاعودة

إعداد
أمين أمين

ترجمة
إسراء محمد

مراجعة الترجمة
د. أسماء مكاوي

تمهيد:

الهجرة أصعب ما يمكن أن نواجهه وعلى الرغم من صعوبتها؛ فإن ثمة عوامل تتسبب في اتخاذ قرار الهجرة مثل: عدم التوازن الاقتصادي بين الدول، والضغوطات السياسية، والصراعات، وعدم المساواة في الفرص في المجالات المختلفة. فقد بلغ العدد الإجمالي للأشخاص الذين يعيشون في بلدان غير بلدانهم ٢٤٣.٧ مليون شخص في جميع أنحاء العالم وفقًا للبيانات التي نشرتها الأمم المتحدة منذ عام ٢٠١٥. ويمثل هذا الرقم ٣,٣٪ من إجمالي سكان العالم[١]. ويبلغ عدد اللاجئين من مجموع المهاجرين حوالي ٢٠ مليونًا[٢].

إن هجرة البشر من مكان إلى آخر ليست مجرد تغيير في عدد السكان، بل إن لها أيضًا تأثيرات مختلفة على حياة المجتمعات؛ بمعنى أن تيارات الهجرة عادة ما تتجه من البلدان النامية – حيث الوضع الاقتصادي أكثر سوءًا – إلى البلدان المتقدمة. ومع بدء العمل في البلدان المتقدمة يحوّل المهاجرون الأموال إلى عائلاتهم، وفي بعض الحالات تشكّل هذه التحويلات ٤٥٪ من الناتج المحلي الإجمالي لبلد المصدر. وقد بلغت الأموال التي أرسلها المهاجرون إلى بلادهم في جميع أنحاء العالم حوالي ٦٠١ مليار دولار في عام ٢٠١٥، وأُرسل ما قدره ٤٤١ مليار دولار من هذه الأموال إلى البلدان النامية[٣]؛ حيث تساعد هذه التحويلات الموجهة بشكل عام للبلدان النامية، في انخفاض معدلات الفقر، وتوفر للناس إمكانية عيش حياة جيدة في هذه البلدان. وواحدة من الحقائق التي لا يمكن تجاهلها أن هذا الوضع قد يكون له تأثير أيضًا على سياسة البلاد عند النظر لهذه التحويلات المالية من الناحية الاقتصادية. ويمكننا أن نرى هذا التأثير في صورة دخول النواب – المنتخبين من قبل المواطنين المقيمين في الخارج – للبرلمان مباشرة في بعض الأحيان، ومحاولة مؤسسات الجاليات أحيانًا أخرى التأثير في سياسات الدولة من خلال نشر الإعلانات. وكما يمكن للمهاجرين التأثير في سياسات بلادهم، كذلك يمكنهم أيضًا التأثير في سياسات البلدان التي يعيشون فيها بشكل مكثف ضد بلدانهم.

وقد شهدت المنطقة موجات هجرة مكثفة؛ نتيجة للضغوطات التي مارستها جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية الديمقراطية –وهي التي تأسست مع نهاية الحرب العالمية الثانية – على المسلمين في المنطقة.

---

* هذه الدراسة صادرة عن مركز البحوث الإنسانية والاجتماعية INSAMER، ومنشورة بموقعه الإلكتروني بتاريخ: ٣ سبتمبر ٢٠١٦، بعنوان: "Balkanlar'da Göç Raporu İstikrarsızlığın Çizdiği Rota"، على الرابط: https://cutt.us/4inwx.

1 UN (United Nations). Trends in International Migrant Stock: Migrants by Destination and Origin. 2015.

2 WB (World Bank), *Migration and Remittances Factbook 2016 Third Edition.* Washington, DC. 2016, p. 21, https://bit.ly/3gDFErP.

3 Ibid, p.11.

فاعتبارًا من السبعينيات، ظهرت الهجرة من البلقان إلى البلدان الأوروبية؛ أملًا في الحصول على حياة جيدة. وقد شهدت المنطقة موجات هجرة كبيرة منذ بداية التسعينيات؛ نتيجة للحروب التي اندلعت وقت تفكك يوغوسلافيا، وبلغ العدد الإجمالي للأشخاص الذين هاجروا من دول المنطقة خلال هذه المرحلة حوالي ٦,٩ ملايين شخص. فكانت صربيا أكثر الدول هجرة من بين كل دول المنطقة، في حين نالت البوسنة والهرسك أعلى معدل للمهاجرين بالنظر إلى إجمالي عدد السكان.

الدولة	عدد المهاجرين	المعدل السكاني (٪)
ألبانيا	١,١١٢,٩١٠	٣٨,٥
البوسنة والهرسك	١,٦٥٠,٧٧٢	٤٣,٢
كارا داغ (الجبل الأسود)	٢٠٠,٠٠٠	٣٢
كوسوفو	٥٥٠,٠٠٠	٣٠
مقدونيا	٦٢٦,٠٠٠	٣٠
صربيا	٢,٧٧٤,٥٠٠	٣٩
المجموع	٦,٩١٤,١٨٢	٣٧

جدول (١): عدد المهاجرين حسب الدولة ومعدلاتها السكانية

توضح هذه الدراسة أن البوسنة والهرسك والجبل الأسود وكوسوفو ومقدونيا وصربيا من البلدان التي ظهرت مع تفكك يوغوسلافيا، كما تشير أيضًا إلى موجات الهجرة في ألبانيا التي فتحت أبوابها للعالم مع سقوط النظام الشيوعي عام ١٩٩٨، وكذلك الآثار الاقتصادية والسياسية الناتجة عن هذه الهجرات.

ألبانيا:

ساد حكم النظام الشيوعي على ألبانيا من الحرب العالمية الثانية حتى عام ١٩٨٩، وخلال هذه المرحلة كان واجبًا على الألبان الحصول على إذن خاص من المؤسسات المرخصة من أجل السفر داخل البلاد، لذلك كان الدبلوماسيون فقط – المكلفون بمهام – هم القادرين على السفر خارج البلاد[4]. وقد دُمّر النظام

4 Sejdini, Abdulmenaf., *Migration and Remittances in Balkan 5: A Comparative Evidence*. PHD Dissertation, University of Tirana Faculty of Economics, Tirana, Albania. 2014, p.56.

الشيوعي في ألبانيا، وهو الذي يعدّ واحدًا من أكثر الأنظمة عزلة وصرامة في العالم عام ١٩٨٩ بعد أربع سنوات فقط من وفاة مؤسسه أنور هوجا عام ١٩٨٥. ومع انهيار هذا النظام لم يكن هناك أي عقبة أمام المواطنين الألبان الذين لم يتمكنوا من مغادرة البلاد منذ الحرب العالمية الثانية، فبدأت الهجرة إلى خارج البلاد ابتداءً من هذا العام.

السنة	١٩٩٥	٢٠٠٠	٢٠٠٥	٢٠١٠	٢٠١٥
عدد المهاجرين	٤٩٨,١٧٣	٨٢٢,٦٧٦	٩٦٤,٦٢٢	١,١١٠,٢٩٦	١,١١٢,٩١٠
المهاجرون بالنظر إلى المعدل السكاني (٪)	١٥,٦	٢٦,٦	٣٢,٠	٣٨,١	٣٨,٥

جدول (٢): إجمالي المهاجرين من ألبانيا

أحد أهم الأسباب الرئيسة لهجرة الألبان إلى البلدان الأخرى، هو الأمل في العثور على وظيفة، في حين كان السبب الثاني هو رغبة الأشخاص الذين هاجروا من قبل في الرجوع واصطحاب أسرهم معهم[٥]. حدثت حركات هجرة جماعية في أوائل التسعينيات بسبب المشاكل الاقتصادية والسياسية في البلاد، فشق الناس طريقهم إلى البلدان الأخرى بهدف العثور على عمل. حيث إن عدد الناس الذين هاجروا – خلال خمس سنوات – بعد فتح الحدود بلغ ٤٩٨,٠٠٠ ألف شخص، وهذا يعنى أن ١٥,٦٪ من السكان الألبان هاجروا في هذه المرحلة. وفي الفترة من عام ١٩٩٦ إلى عام ٢٠٠٠، كان متوسط المهاجرين كل عام حوالي ٦٥,٠٠٠ ألف شخص من ألبانيا في المتوسط كل عام، وقد انخفضت المشاكل الاقتصادية والسياسية عام ٢٠٠٠ مقارنة بالأعوام السابقة. ولذلك كان متوسط عدد الأشخاص المهاجرين سنويًّا خلال هذه المرحلة أقل من المرحلة السابقة. وبنهاية عام ٢٠١٥، بلغ عدد المواطنين الألبان الذين يعيشون في بلدان أخرى ٣٨,٥٪ من السكان أي ما يقارب من ١,١ مليون مواطن، ومن المرجح أن يزيد هذا العدد في السنوات القادمة؛ لأنه نتيجة لاستطلاع الرأي العام الذي أُجِري، أجاب واحد من كل اثنين مقيمين في ألبانيا بشكل إيجابي (نعم) على السؤال "هل تريد الهجرة والعمل في الخارج؟"[٦].

5 INSTAT, IPH and ICF Macro., *Albania Demographic and Health Survey 2008-09. Tirana,* Albania. 2010, p.256.

6 RCC (Regional Cooperation Council), Balkan Barometer 2016: Public Opinion Survey, Sarajevo, Bosnia and Herzegovina. 2016, p.75.

شكل (١): البلدان التي يعيش بها المهاجرون الألبان

هاجر ٨٠٪ من المهاجرين الألبان إلى إيطاليا واليونان، وتعد الولايات المتحدة الأمريكية ومقدونيا البلدين المفضلين بعد هذين البلدين. وهناك أيضًا أشخاص من أصل ألباني يعيشون في بلدان أخرى أوروبية، ولكن يعد هؤلاء الأشخاص في الإحصاءات الرسمية مواطنين من الدول الأخرى في المنطقة. وهناك سمة أخرى لظاهرة الهجرة هنا، وهي أن عدد المهاجرين الذكور – وبخاصة في البداية – كان أعلى من معدل النساء. علاوة على أن متوسط عمر المهاجرين الألبان في السنوات الأولى بلغ ٢٥ عامًا وفقًا لتقرير نشره البنك الدولي عام ٢٠٠٧، وفي السنوات الأخيرة ارتفع هذا المعدل ليصل إلى ٢٧ عامًا [٧]. ويعمل معظم مهاجري ألبانيا الذكور في قطاع البناء في حين تعمل النساء في قطاع الخدمات[٨].

شكل (٢): مؤشر دخل العمال الألبان حسب السنوات

يعد دخل العمال المهاجرين الذي يرسلونه، واحدًا من أهم مصادر الدخل للاقتصاد الألباني، وكما

7 WB (World Bank), *Albania: Urban Growth, Migration and Poverty Reduction*. Report No. 40071- AL. 2007, p.39.

8 IOM (International Organization for Migration), *Migration in Albania: A CountryProfile*. Geneva, Switzerland. 2008, p.18.

يتبين من الرسم البياني بالأعلى، فإن دخل العمال الألبان عام ١٩٩٢، بلغ ١٥٠ مليون دولار وازداد مع مرور السنين فوصل إلى أعلى معدل له على الإطلاق عام ٢٠٠٨ بمقدار ١,٥ مليار دولار، وبعد عام ٢٠٠٩ حدث انخفاض في دخل العمال. أحد الأسباب الرئيسة وراء هذا الانخفاض، هو مواجهة إيطاليا واليونان – التي يعيش بها معظم المهاجرين الألبان – أزمات اقتصادية كبيرة. شكّل دخل العمال في البداية ٢٥٪ من الناتج المحلى الإجمالي الألباني، وانخفض هذا المعدل بمرور السنين فوصل إلى ٨,٦٪ بنهاية عام ٢٠١٤. ووفقًا لاستطلاعات الرأي التي أجريت لتحديد المناطق التي يستخدم فيها دخل العمال، ثبت أن أكثر من نصف الأموال المرسلة تُستخدم لتلبية الاحتياجات الغذائية اليومية، ويُدخر ٢٠٪ من هذه الأموال[٩].

البوسنة والهرسك:

البوسنة والهرسك البلد الذي عانى الآلام خلال مرحلة تفكك يوغوسلافيا؛ فقد توفي ٢٥٠,٠٠٠ ألف شخص في الحرب التي بدأت عام ١٩٩٢ واستمرت حتى ١٩٩٥ بتوقيع اتفاقية "دايتون"، واضطر أكثر من نصف السكان البالغ عددهم ٤,٤ ملايين شخص لمغادرة الأماكن التي يعيشون بها، واضطر أيضًا أكثر من مليون شخص للهجرة والذهاب إلى بلدان أخرى بوصفهم لاجئين، وترك أقل من مليون شخص الأماكن التي يعيشون بها داخل البلاد تحت ظروف قاسية في بعض من الأحيان[١٠].

السنة	١٩٩٠	١٩٩٥	٢٠٠٠	٢٠٠٥	٢٠١٠	٢٠١٥
عدد المهاجرين	٨٤٣,٢٠٨	١,٣٤٧,٣٧١	١,٤٦٨,٣٩٤	١,٥٠٤,٩٧١	١,٦٠٣,٥٣٦	١,٦٥٠,٧٧٢
المهاجرون بالنظر إلى المعدل السكاني (٪)	١٨,٦	٣٤,٧	٣٨,٧	٣٩,٣	٤١,٨	٤٣,٢

جدول (٣): عدد المهاجرين من البوسنة والهرسك

9 Sejdini, Abdulmenaf., *Migration and Remittances in Balkan 5: A Comparative Evidence*. Op.cit, p.117.

10 Dahlman, Carl and Tuathail, Gearóid Ó., *Broken Bosnia: The Localized Geopolitics of Displacement and Return in Two Bosnian Places.* Annals of the Association of American Geographers, 95 (3), 2005, pp. 644-662.

لم تكن الهجرة من البوسنة والهرسك إلى خارج البلاد بين عامي ١٩٩٢ و١٩٩٥ فقط؛ فمنذ الستينيات، والعمال يهاجرون إلى البلاد الأوروبية؛ حيث بلغ عدد المهاجرين من البوسنة والهرسك إلى البلدان الأوروبية حتى عام ١٩٩٥ حوالي ٨٤٣,٢٠٨ ألف شخص. وفي السنوات الخمس التالية، هاجر ما يقرب من ٥٠٤,٠٠٠ آلاف شخص نتيجة للحرب وفقا للأرقام الرسمية، وبلغ العدد الإجمالي للمهاجرين ١,٣ مليون شخص؛ مما يعني أن ٣٤,٧٪ من إجمالي سكان البوسنة والهرسك في هذه المرحلة كانوا يعيشون في بلدان أخرى. ووفقًا لمعاهدة "دايتون" التي وقعت عام ١٩٩٥ كان لا بد من ضمان عودة ٥٠٠,٠٠٠ ألف نازح و٣٧٠,٠٠٠ ألف لاجئ إلى الأماكن التي كانوا يعيشون بها قبل الحرب. ولكن بسبب المشاكل التي واجهوها خلال عودتهم إلى الجمهورية الصربية لم تكتمل عمليات العودة على النحو المتفق عليه في المعاهدة[١١]. بالإضافة إلى أنه يكاد يكون من المستحيل توفير مصدر رزق في الأماكن التي كانوا يعيشون فيها قبل الحرب مما تسبب في انخفاض معدل عودة المهاجرين[١٢]. ولكن على الرغم من كل تلك الصعوبات وعدم قدرتهم على العودة إلى أماكن ما قبل الحرب، فإن جزءًا كبيرًا من المهاجرين عاد إلى البوسنة والهرسك. فوفقًا للبيانات الصادرة عن مفوضية الأمم المتحدة لشئون اللاجئين، عاد ٣٨٢,٠٠٠ ألف لاجئ إلى البوسنة والهرسك بين عامي ١٩٩٦ و١٩٩٩ واعتبارًا من عام ٢٠١٤ عاد نحو ٤٩٨,٠٠٠ ألف لاجئ. وبعد انتهاء الحرب، تسببت المشاكل الاقتصادية والسياسية – الناجمة عن البيئة السياسية المعقدة في البلاد – في موجات هجرة جديدة؛ فارتفع عدد مهاجري البوسنة والهرسك الذين يعيشون في بلدان أخرى لـ ٣٠٠,٠٠٠ ألف شخص في العشرين سنة التالية. ومع هذه الزيادة أصبح عدد الذين يعيشون بالخارج ١,٦ مليون شخص في عام ٢٠١٥ أي ما يعادل ٤٣,٢٪ من السكان، ومن المتوقع تزايد هذه الأعداد خلال السنوات القادمة؛ حيث أجاب واحد من كل شخصين في البوسنة والهرسك بشكل إيجابي (نعم) على السؤال "هل ترغب في الهجرة والعمل في الخارج؟"[١٣].

11 Ibreljić, Izet, Kulenović, Salih, Kadušić, Alma and Smajić., Sabahudin. *Migration Flows in Bosnia and Herzegovina After 1992.* 46th Congress of the European Regional Science Association (ERSA). Volos, Greece. 2006, p.4.

12 Konning, Mireille de., *Return Migration to Bosnia and Herzegovina, Monitoring the Embeddedness of Returnees.* Amsterdam, Netherlands. 2008.

13 RCC (Regional Cooperation Council), *Balkan Barometer 2016: Public Opinion Survey.* op.cit, p.75.

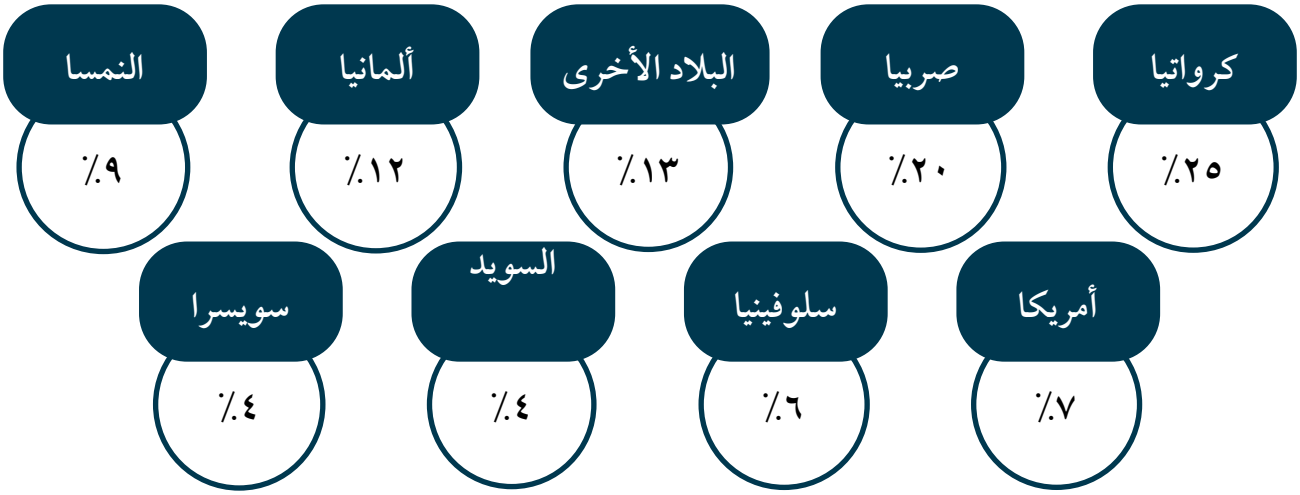

شكل (٣): البلاد التي يعيش بها المهاجرون من البوسنة والهرسك

يُوجد ٤٥٪ من مهاجري البوسنة والهرسك في كرواتيا وصربيا اللتين كانتا تحت نفس لواء الجمهورية حتى عام ١٩٩٢ . فواحد من الأسباب الرئيسة لهذا الارتفاع في معدلات الهجرة لهذين البلدين هو أن حوالي ٥١٪ من الصرب والكرواتيين الأصليين يعيشون في البوسنة والهرسك، وأما البلدان الأخرى التي يسافر إليها المهاجرون بكثافة، فهي ألمانيا والنمسا والولايات المتحدة الأمريكية وسلوفينيا.

ووفقًا لاستطلاع الرأي الذي أُجري، فإن القطاعات التي يعمل بها مهاجرو البوسنة والهرسك في الخارج بشكل مكثف هي قطاعات البناء والخدمات والإنتاج بالترتيب. كما بلغت نسبة خريجي المدارس المهنية من المهاجرين إلى الدول الأوروبية ٥٢,٧٪، في حين كانت نسبة خريجي الجامعات من المهاجرين إلى الولايات المتحدة ٤٩٪ [١٤].

إن دخل العمال المهاجرين الذي يرسلونه لأفراد أسرهم الباقين في بلدهم، مُهم جدًّا لاقتصاد وشعب البوسنة والهرسك، واعتبارًا من عام ١٩٩٨ أمكن نشر البيانات الرسمية. فقبل عام ١٩٩٨ كان لشعب البوسنة والهرسك وجهة نظر مفادها أنه يستحيل البقاء دون دخل العمال، وبخاصة خلال سنوات الحرب[١٥].

14 IOM and IASCI, *Maximizing the Development Impact of Migration-Related FinancialFlows and Investment to Bosnia and Herzegovina.,* Geneva, Switzerland. 2010, p.47.

15 Sejdini, Abdulmenaf., *Migration and Remittances in Balkan 5: A Comparative Evidence*. Op.cit, p.119.

شكل (٤): معدل دخل عمال البوسنة والهرسك بالنظر إلى الناتج المحلي الإجمالي

بلغ دخل عمال البوسنة والهرسك عام ١٩٩٨ حوالي ملياري دولار، وكان هذا المبلغ يساوي ٥٠٪ من الناتج المحلى الإجمالي لهذه المرحلة. وقد أُرسل ٢,٧ مليار دولار (أكثر من ملياري دولار) من دخل العمال للبوسنة والهرسك عام ٢٠٠٨ على الرغم من انخفاض دخل العمال في بعض المراحل في السنوات التالية؛ فكان هناك انخفاض في دخل العمال الذي يُرسل إلى البوسنة والهرسك؛ نتيجة للأزمة المالية العالمية التي حدثت عام ٢٠٠٨، وعلى الرغم من ذلك ظلت التحويلات المالية للعمال مهمة لاقتصاد البوسنة والهرسك. وفي دراسة استقصائية أوضح أكثر من نصف العمال المهاجرين أن أكبر دافع لإرسالهم الأموال للبوسنة والهرسك هو دعم أفراد أسرهم[١٦].

الجبل الأسود (كارا داغ):

قضية الهجرة هي قضية مُهمة أيضًا في الجبل الأسود الذي يحوي أقل عدد سكان من بين دول غرب البلقان. فبعد الحرب العالمية الثانية حدثت موجات هجرة إلى صربيا، ولكن كانت تعد هجرة داخلية؛ لأن صربيا والجبل الأسود في تلك المرحلة كانتا تحت لواء جمهورية يوغوسلافيا. وأما الموجة الثانية من الهجرة، فكانت هجرة العمال إلى أوروبا من عام ١٩٦٥ إلى عام ١٩٧٣ كما هو الحال في دول يوغوسلافيا الأخرى، وقد كان العامل الأهم للهجرة في هذه المرحلة هو السعي لكسب العيش في ظل ظروف اقتصادية جيدة.

وفقًا للبيانات الرسمية الصادرة عن الأمم المتحدة فإنه وبحلول عام ١٩٩٠، بلغ العدد الإجمالي للمهاجرين من الجبل الأسود إلى الدول الأخرى حوالي ٧٧,٠٠٠ ألف شخص. وفي السنوات العشر التالية، تضاعف عدد الأشخاص المهاجرين لخارج البلاد بسبب الحروب التي جرت في مرحلة تفكك يوغوسلافيا، واستمر تزايد عدد المهاجرين في عام ٢٠٠٠ لأسباب اقتصادية. ووفقًا للمصادر المختلفة،

16 IOM and IASCI. *Maximizing the Development Impact of Migration-Related FinancialFlows and Investment to Bosnia and Herzegovina.* Geneva, Switzerland. 2010, p.66.

يبلغ العدد الإجمالي للمهاجرين من الجبل الأسود في أنحاء العالم حتى اليوم ما بين ١٥٠,٠٠٠ إلى ٢٨٠,٠٠٠. وأحد الأسباب الرئيسة لهذا التباين في الأرقام هو أن مواطني الجبل الأسود يعدون أنفسهم مواطنين صربيين أينما ذهبوا، فيقدر هذا العدد وفقًا للبيانات الصادرة عن المؤسسات الرسمية في الجبل الأسود حوالي ٢٠٠,٠٠٠ ألف شخص، ويمثل هذا الرقم اليوم ٣٢٪ من سكان الجبل الأسود. وقد أجاب ٤٣٪ ممن يعيشون في الجبل الأسود بشكل إيجابي (نعم) على السؤال "هل تريد الهجرة والعمل في الخارج؟"؛ لذلك من المتوقع حدوث زيادة في أعداد المهاجرين في السنوات القادمة[١٧].

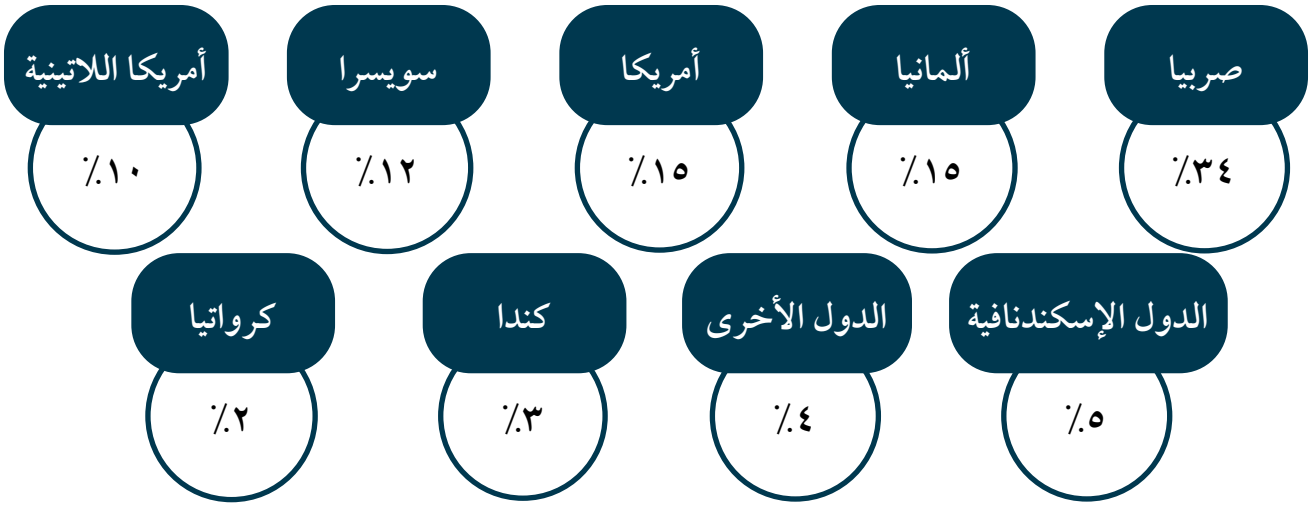

شكل (٥): البلاد التي يعيش بها المهاجرون من كارا داغ

وفقًا للبيانات الصادرة عن المنظمة الدولية للهجرة، فإن ثلث مهاجري الجبل الأسود موجودون في صربيا، وأما الدول الأخرى التي يفضلها مواطنو الجبل الأسود، فهي الدول المتقدمة مثل: ألمانيا والولايات المتحدة وسويسرا، بالإضافة إلى هجرة جزء كبير منهم إلى دول أمريكا اللاتينية النامية. ويمثل الشباب ٦٤٪ من المهاجرين وفقًا لنتائج المسح السكاني الذي أُجري، ويلاحظ أيضًا أن غالبية المهاجرين من النساء، ومن حيث التعليم فإن ٦,٢٪ من المهاجرين من خريجي الجامعات، و٤٪ من خريجي المدارس الثانوية، و٣٧٪ من خريجي المدارس المتوسطة (الإعدادية)، و٣٠٪ من خريجي المدارس الابتدائية. ويهاجر ثلث خريجي الجامعات إلى الولايات المتحدة، لكن نسبة خريجي الجامعات المهاجرين من الجبل الأسود لإنجلترا وكندا كانت أعلى[١٨].

التحويلات المالية التي يرسلها مهاجرو الجبل الأسود إلى أفراد أسرهم الباقين في البلد، هي مصدر

17 RCC (Regional Cooperation Council), *Balkan Barometer 2016: Public Opinion Survey*. op.cit,p.75.

18 Grečić, Vladimir and Kaludjerović, Jadranka., *Social Impact of Emigration and RuralUrban Migration in Central and Eastern Europe.* Final Country Report Montenegro. 2012.

دخل مهم لاقتصاد البلاد، فيلاحظ أن دخل العمال الذي يُرسل إلى الجبل الأسود منذ عام ٢٠٠٧ زاد كلًّا من مقدار ومعدل الناتج المحلي الإجمالي؛ فبلغ دخل العمال الذي يُرسل إلى البلاد عام ٢٠٠٧ حوالي ١٩٦ مليون دولار في حين وصل هذا الرقم إلى ٣٤٥ مليون دولار في عام ٢٠١٣ أي ما يعادل ١٠٪ من الناتج المحلي الإجمالي للبلاد.

كوسوفو:

شهدت كوسوفو أيضًا موجات هجرة مكثفة كما هو الحال في دول غرب البلقان الأخرى؛ فكانت الموجة الأولى في شكل هجرات إلى تركيا من قبل ألبان كوسوفو الفارين من ضغوط جمهورية يوغوسلافيا الشعبية الاتحادية التي تأسست عقب نهاية الحرب العالمية الثانية. وبعد ذلك، وفي المرحلة ١٩٦٠ : ١٩٨٠ حدثت هجرات مكثفة إلى دول أوروبا الغربية – وبخاصة ألمانيا وسويسرا – على أمل العثور على وظيفة جيدة. وفي أوائل التسعينيات، هاجر الشباب الذين لم يرغبوا في الذهاب إلى الجيش والقتال – وبسبب بعض الأسباب الاقتصادية أيضًا – إلى بلدان أخرى؛ ففي المرحلة ١٩٩٨ : ١٩٩٩ خرج حوالي ٨٠٠,٠٠٠ ألف شخص إلى خارج البلاد كلاجئين بسبب الحرب في كوسوفو، ولجأ ٤٥٪ منهم إلى ألبانيا و٣٠٪ إلى مقدونيا و١٥٪ إلى الجبل الأسود في حين توزع الباقي على الدول المختلفة حول العالم[١٩].

كانت هناك عودة مكثفة للبلاد عقب انتهاء الحرب، ومع ذلك استمرت عمليات الهجرة إلى الخارج منذ بداية عام ٢٠٠٠. وقد كان لهذه الهجرات الأخيرة ثلاثة أسباب رئيسة؛ هي ذهاب الناس لذويهم الذين هاجروا من قبل، والهجرة من أجل العمل في التعليم وفي الأعمال المؤقتة، بالإضافة إلى انتشار الفقر المتفشي في البلاد وبخاصة البطالة المرتفعة بين الشباب، والفساد والتوقعات السلبية لمستقبل الشباب[٢٠].

وقد أجاب ٤٨٪ من المجيبين عن السؤال "هل ترغب في الهجرة والعمل في الخارج؟" بشكل إيجابي (بنعم) في استطلاع الرأي العام الذي أُجري في كوسوفو؛ لذلك من المتوقع زيادة عدد المهاجرين في السنوات القادمة[٢١].

19 Sejdini, Abdulmenaf., *Migration and Remittances in Balkan 5: A Comparative Evidence*. Op.cit, p.69.

20 Dobruna, Zana, Ejupi, Burim and Hollaj, Learta., *An overview of migrations o Kosovarsinto the EU: Migration as a Multifaceted Phenomenon.* 2015, p.8.

21 RCC (Regional Cooperation Council), *Balkan Barometer 2016: Public Opinion Survey*. op.cit, p.75.

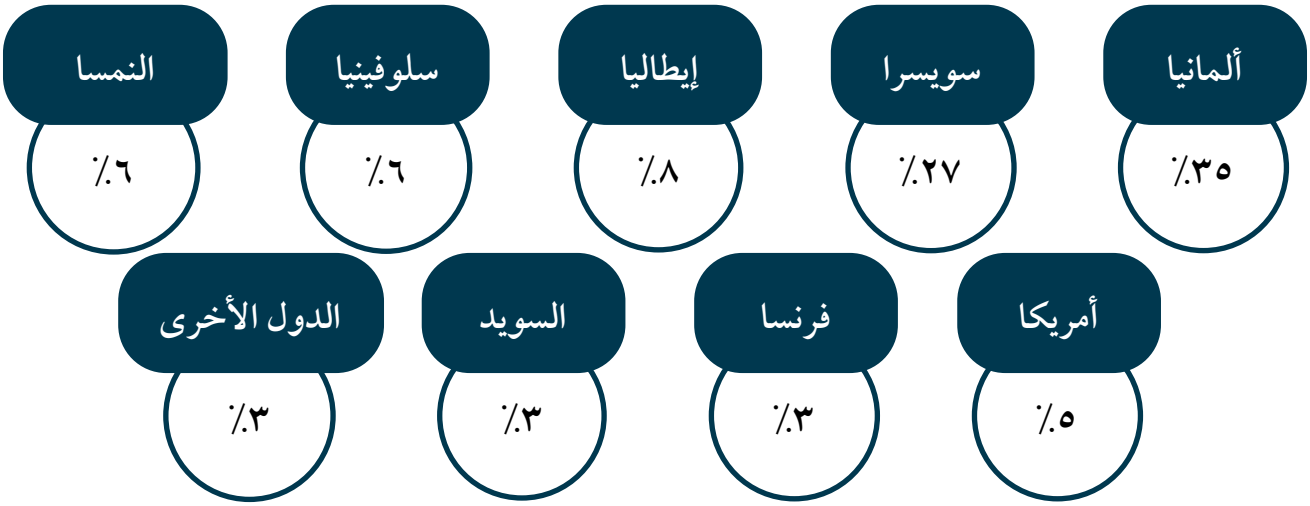

شكل (٦): البلاد التي يعيش بها مهاجرو كوسوفو

بلغ إجمالي عدد المهاجرين من كوسوفو حوالي ٥٥٠,٠٠٠ ألف شخص، وفقًا للبيانات التي أعلن عنها البنك الدولي عام ٢٠١٣، يوضح هذا الرقم أن ٣٠٪ من مجموع السكان يعيشون خارج الدولة؛ فيوجد ٣٥٪ من المهاجرين في ألمانيا و٢٧٪ في سويسرا، كما هاجرت الغالبية العظمى المتبقية من المهاجرين بشكل عام إلى دول أوروبا الغربية؛ فبلغت نسبة الهجرة من كوسوفو خاصة إلى الولايات المتحدة التي تعد واحدة من الأماكن التي يوجد بها تجمع ألباني قوي ٥٪.

في السنوات الأولى وبسبب هجرة العمالة من كوسوفو، كان يهاجر أربعة رجال من أصل خمسة، وفي السنوات التالية، تساوت معدلات الرجال والنساء بسبب ذهاب النساء إلى أفراد عائلاتهم المهاجرين[٢٢]، وبلغت نسبة من هم في سن العمل بين المهاجرين حوالي ٦٠٪، ونسبة كبار السن بين المهاجرين تكاد تكون معدومة، والسبب الرئيس لذلك هو أن المهاجرين المتقاعدين يفضلون قضاء بقية حياتهم في أوطانهم[٢٣]. ووفقًا لنتائج استطلاع الرأي الذي أُجري مع المهاجرين ثبت أن ٦٨,٩٪ من المهاجرين حاصلون على تعليم متوسط، و٩,٩٪ حاصلون على تعليمٍ عالٍ، و٢١,٢٪ المتبقين حاصلون على تعليم منخفض، وحسب الاستطلاع نفسه يعمل معظم المهاجرين الرجال في قطاع البناء، أما النساء فيعملن بشكل عام في قطاع الخدمات والإنتاج في حين يعمل هناك قسم كبير منهن ربات بيوت[٢٤].

22 KAS (Kosovo Agency of Statistics), *Kosovan Migration.* Pristina, Kosovo. 2014, p.22.

23 ibid, p.23.

24 IASCI (International Agency for Source Country Information), *Market Analysis: Kosovo Maximising the Development-Impact of Migration-related Financial Flows and Investment to Kosovo.* Vienna, Austria. 2010, p.16: 17.

شكل (٧): معدل دخل عمال كوسوفو بالنظر إلى الناتج المحلي الإجمالي

تُحوّل الأموال لكوسوفو من قبل المهاجرين أيضًا مثل: دول غرب البلقان الأخرى، ويلاحظ أن هناك زيادة مستمرة من سنة إلى أخرى في التحويلات المالية على الرغم من وجود انخفاضات طفيفة في بعض المراحل. فبالتحديد، حُوّلت ٦٠٠ مليون دولار من دخل العمال لكوسوفو عام ٢٠٠٤ في حين ارتفع هذا المبلغ إلى ١,١ مليار دولار عام ٢٠١٥. يعد دخل العمال المرسل ذا أهمية لاقتصاد البلاد؛ لأنه يشكل ١٦٪ من الناتج المحلي الإجمالي، فيأتي أعلى دخل للعمال من ألمانيا وسويسرا؛ لأنه يوجد بهما معظم مهاجري كوسوفو.

السبب الرئيس وراء إرسال العمال دخلهم هو دعم أفراد أسرهم الباقين في البلاد، والحصة المُهمة من دخل العمال التي ترسل بعد ذلك، تكون بهدف التوفير والاستثمار[٢٥]. وتعد هذه الإيرادات هي ثاني أهم مصدر دخل لمن يعيش في كوسوفو بعد معاشهم الذي يحصلون عليه نتيجة لعملهم الدائم[٢٦]. فيستخدم ٤٥٪ من دخل العمال المرسل في الاستهلاك اليومي، يُنفق الباقي بالتوالي على الاستثمارات العقارية ثم الاحتياجات الطبية وتعليم أفراد الأسرة[٢٧].

مقدونيا:

شهد التاريخ المقدوني أيضًا هجرات مكثفة فبعد الحرب العالمية الثانية هاجر المسلمون الواقعون تحت ضغوطات شديدة إلى تركيا كما هو الحال في دول يوغوسلافيا الأخرى. وفي عام ١٩٦٣ شهدت البلاد موجة هجرة مكثفة إلى أستراليا والولايات المتحدة وكندا عقب الزلزال الذي وقع في سكوبي عاصمة مقدونيا، وفي السنوات التالية وكما هو الحال في دول غرب البلقان الأخرى، هاجر العمال من مقدونيا إلى

25 ibid, p.31.

26 UNDP (United Nations Development Programme). *Kosovo Remittance Study*. 2012, p.36.

27 Mustafa, Muhamet, Mrika Kotorri, Petrit Gashi, Ardiana Gashi, and Venera Demukaj., *Diaspora and Migration Policies.* Prishtina, Kosovo. 2007, p.44.

دول أوروبا الغربية. فبلغ عدد المواطنين المهاجرين من مقدونيا لخارج البلاد في عام ١٩٩٠ حوالي ٣٩٠,٠٠٠ ألف شخص، وفي السنوات العشر التي تلت إعلان مقدونيا استقلالها في عام ١٩٩١، هاجر ١٤٠,٠٠٠ ألف شخص لإيجاد فرص عمل جيدة، وفي عام ٢٠٠٠ استمرت أعداد المهاجرين بالزيادة. واليوم يعيش ما يقرب من ٦٢٦,٠٠٠ ألف مواطن مقدوني في بلدان أخرى غير بلدهم، ويمثل هذا الرقم ٣٠٪ من عدد سكان مقدونيا، وقد أجاب ٤٠٪ من مواطني الدولة الذين وُجّه إليهم السؤال "هل ترغب في الهجرة والعمل في الخارج؟" بشكل إيجابي (بنعم). ولذلك، فمن المتوقع زيادة أعداد مهاجري مقدونيا في السنوات التالية كما هو الحال في دول غرب البلقان[٢٨].

شكل (٨): البلاد التي يعيش بها المهاجرون من مقدونيا

هاجر أكثر من نصف مهاجري مقدونيا إلى دول أوروبا الغربية و٢٥٪ منهم إلى بلدان ما وراء المحيطات مثل أمريكا وأستراليا، وحلت تركيا في المركز الثالث كواحدة من أكثر البلدان المهاجر إليها. ووفقًا لاستطلاع الرأي الذي أُجري في مقدونيا، فإن ٦٤٪ من المهاجرين من الرجال[٢٩]. ولكن تظهر البيانات الصادرة عن الأمم المتحدة، أن معدل هجرة الرجال والنساء كان متساويًا في عام ٢٠٠٠، حتى إنه في السنوات الأخيرة كان عدد النساء أكبر. وهناك نقطة أخرى وهي أن ٧٠٪ من المهاجريين تتراوح أعمارهم بين ١٧ : ٤٠ عامًا[٣٠]. وبالنظر إلى أن معظم الأشخاص الذين يهاجرون إلى البلدان الأخرى، يكون بسبب المشاكل الاقتصادية؛ فيبدو أن أكثر المجموعات المهاجرة من هذه الفئة العمرية أيضًا لهذا السبب. أما من

28 RCC (Regional Cooperation Council), *Balkan Barometer 2016: Public Opinion Survey*. op.cit, p.75.

29 GDN (Global Development Network), *Development on the Move: Measuring and Optimising the Economic and Social Impacts of Migration in the Republic of Macedonia.* Skopje, Macedonia. 2009, p. 23.

30 ibid, p.23.

الناحية العرقية فيمثل مهاجرو مقدونيا ٦٠٪ من المهاجرين، و٢٨٪ من الألبان، و٤,٤٪ من الرومان، و٣,٤٪ من الترك، والباقي من مجموعات عرقية مختلفة، وغالبية المهاجرين العظمى من خريجي المدارس الثانوية. في حين يمثل خريجو الجامعات ١,٧٪ من المهاجرين[٣١].

شكل (٩): معدل دخل عمال مقدونيا بالنظر إلى الناتج المحلي الإجمالي

تعد التحويلات المالية التي يرسلها المهاجرون إلى أفراد أسرهم من بين مصادر الدخل المُهمة للبلاد كما هو الحال في دول غرب البلقان الأخرى. أي أن دخل العمال الذي كان ٦٨ مليون دولار في عام ١٩٩٦ ارتفع حتى وصل إلى ٤٠٧,٠٠٠ مليون دولار في عام ٢٠٠٨. ولكن حدث انخفاض في دخل العمال المرسل؛ بسبب الأزمة التي شهدتها البلاد في هذه المرحلة، وعلى الرغم من زيادة دخل العمال في عام ٢٠١١، فقد حدث هناك انخفاض في الدخل مرة أخرى بسبب أزمة الديون التي ظهرت في الاتحاد الأوروبي عام ٢٠١٢. فتعد نسبة دخل العمال التي تضاف للناتج المحلي الإجمالي أقل في مقدونيا مقارنة ببلدان غرب البلقان الأخرى.

يُستخدم ما يقرب من نصف دخل العمال المرسل لتلبية احتياجات الاستهلاك اليومي، أما الجزء المتبقي من الدخل، فيُستخدم في مجالات مثل: الاستثمار العقاري والادخار والاحتياجات الطبية والتعليم.

31 Ibid, p.25.

ويُسهم مهاجرو مقدونيا بشكل مباشر في اقتصاد البلاد بدخل عملهم؛ مما يمكنهم من اختيار النواب الذين سيمثلونهم في انتخابات البلاد، فيختار المواطنون الذين يعيشون في البلاد ١٢٠ نائبًا في الانتخابات، في حين يمكن للمهاجرين المقيمين في الخارج اختيار ثلاثة نواب لتمثيلهم.

صربيا:

شهدت صربيا – التي تمتلك أكبر عدد سكان من بين دول غرب البلقان – أيضًا موجات هجرة واسعة النطاق على مر السنين. فكانت موجة الهجرة الأولى عقب الحرب العالمية الثانية، واتجهت للدول الأوروبية بعد عام ١٩٦٥. وقد زادت معدلات البطالة في البلدان الأوروبية نتيجة لأزمة البترول التي وقعت عام ١٩٧٣، ولهذا السبب وفي منتصف السبعينيات أعيد الكثير من المهاجرين إلى صربيا. ومع ذلك استمر العدد الإجمالي للمهاجرين الصرب المقيمين في الخارج في الازدياد؛ لأن المهاجرين – الذين ظلوا باقين في هذه السنوات في البلدان التي ذهبوا إليها – اصطحبوا أفراد أسرهم معهم. وفي الثمانينيات تسبب التقدم التكنولوجي للبلدان المتقدمة في هجرة جيل أكثر تعليمًا وأصغر سنًّا من صربيا إلى الخارج، كما حدثت عمليات هجرة مكثفة أيضًا من البلدان الأخرى إلى صربيا؛ لأن صربيا كانت تعد من الأطراف المهاجمة في الحروب التي وقعت في المنطقة في التسعينيات[٣٢]. وفي عام ٢٠٠٠ زاد عدد المهاجرين من صربيا على الرغم من تمتع الاقتصاد بأكبر إمكانيات نمو بين دول المنطقة.

تختلف الأرقام بشأن إجمالي عدد المهاجرين الصرب باختلاف المصادر؛ فعلى سبيل المثال بلغ إجمالي عدد المهاجرين الصرب منذ عام ٢٠١٣ حوالي ٩٦٥,٠٠٠ ألفًا وفقًا للبيانات الصادرة عن الأمم المتحدة، وبلغ عددهم وفقًا للمنظمة الدولية للهجرة ٢,٣ مليون مهاجر (أكثر من مليوني مهاجر) في عام ٢٠٠٨[٣٣]، ووفقًا للحكومة الصربية حوالي ٢,٨ مليون مهاجر (أكثر من مليوني مهاجر) في عام ٢٠١٠، ووفقًا لحسابات البنك الدولي حوالي ١,٣ مليون مهاجر صربي في جميع أنحاء العالم.

32 Sejdini, Abdulmenaf., *Migration and Remittances in Balkan 5: A Comparative Evidence*. Op.cit, p.83: 84.

33 IOM, *Migration in Serbia: A Country Profile 2008.* Geneva, Switzerland. 2008b, p.15.

شكل (١٠): البلاد التي يعيش بها المهاجرون الصربيون

تعد ألمانيا والنمسا وسويسرا أكثر ثلاث دول في أوروبا الغربية يفضلها مهاجرو الصرب وفقًا لبيانات البنك الدولي؛ حيث يهاجر ٣٦٪ منهم إلى الولايات المتحدة، و١٨٪ إلى ألمانيا، و١١٪ إلى النمسا، وفي البداية كانت غالبية مهاجري الصرب من الرجال كما هو الحال في دول غرب البلقان الأخرى، وفي السنوات التالية زادت أعداد المهاجرين من النساء لذهابهن إلى ذويهم الموجودين بالخارج. وعلى الرغم من عدم وجود معلومات مؤكدة بشأن الوضع التعليمي للمهاجرين، فإنه من المعروف حدوث انخفاض عدد المهاجرين الحاصلين على تعليم ابتدائي عام ١٩٩٠، في حين زاد عدد المهاجرين الحاصلين على تعليم ثانوي وعالٍ. بالإضافة إلى ذهاب معظم مهاجري المدن الصربية الكبرى عادة – وهم الشباب خريجو الجامعات – إلى الولايات المتحدة وكندا[٣٤].

يُرسل إلى صربيا أعلى دخل للعمال من بين كل دول غرب البلقان؛ ففي عام ٢٠٠٧ أرسل المهاجرون ٣,٨ مليارات دولار من دخل عملهم إلى صربيا. وفي السنوات التالية أثرت المشاكل الاقتصادية التي ظهرت في البلدان – التي يعيش بها المهاجرون بشكل مكثف – في دخل العمال أيضًا؛ أي أنه بسبب الأزمة المالية العالمية في عام ٢٠٠٨ والصعوبات الاقتصادية في أوروبا عام ٢٠١٠ والسنوات التي تلتها، انخفض

34 Pejin-Stokić, Ljiljana and Vladimir Grečić., *Social Impact of Emigration and Rural-Urban Migration in Central and Eastern Europe.* Final Country Report Serbia. 2012, p.9: 10.

دخل العمال. ومع ذلك ظلت نسبة دخل العمال في الناتج المحلي الإجمالي مستقرة عند ٨٪ في السنوات الأخيرة على الرغم من انخفاض الدخل.

شكل (١١): دخل عمال صربيا

يجري تلبية ١٤٪ من استهلاك الأسر من دخل العمال المرسل[٣٥]. فتستخدم ٧٠٪ من هذه الأموال في تلبية الاحتياجات اليومية والنفقات الصحية، وتستخدم الغالبية العظمى من دخل العمال في تلبية الاحتياجات اليومية، ويُرسل باقي هذه الأموال لذويهم الباقين في البلاد وليس لديهم دخل آخر. وكما يعد دخل العمال من الناحية الاقتصادية عاملًا مُهمًّا لدعم النمو الاقتصادي؛ فإنه بهذه الصفات يمنع أيضًا زيادة معدلات الفقر في البلاد.

خاتمة:

تسبب الاضطراب السياسي والاقتصادي في البلقان منذ التسعينيات إلى هجرة ملايين البشر، واضطر أكثر من ٣ ملايين شخص لمغادرة الأماكن التي عاشوا بها بسبب الحروب وبخاصة في البوسنة وكوسوفو، فهاجر أكثر من نصفهم إلى خارج البلاد. وأما بلدان البلقان الأخرى، فقد شهدت موجات هجرة مكثفة بسبب المشاكل الاقتصادية التي عانوا منها. وبغض النظر عن الحروب والمشاكل الاقتصادية، فقد كانت الضغوطات السياسية أيضًا، وعدم المساواة في المجالات المختلفة، وذهاب الناس لذويهم المهاجرين من قبل – دوافع من بين الأسباب الرئيسة للهجرة.

هاجر ما يقرب من ٧ ملايين شخص من الدول التي شملتها الدراسة للأسباب المذكورة آنفًا؛ فوقعت

35 Jankovic, Irena and Mirjana Gligoric., "The Remittance Inflows' Impact on Savings in the Serbian Economy", *Journal of Economic and Social Development.* 1 (2), 2014. pp. 38-47.

معظم عمليات الهجرة في صربيا والبوسنة والهرسك وألبانيا. ومن الواضح أن الأفراد الذين ليس لديهم آراء إيجابية اليوم بشأن مستقبل دول البلقان سيزدادون في السنوات القادمة. وأما الدول التي يفضلها معظم مهاجري البلقان – خارج دول المنطقة –، فهي بالترتيب ألمانيا وإيطاليا واليونان والولايات المتحدة الأمريكية وسويسرا والنمسا. فيعيش أكثر من ٧٥٠,٠٠٠ ألف مهاجر من البلقان في ألمانيا وحدها وفقًا للبيانات الصادرة عن البنك الدولي. وبصرف النظر عن هذه البلدان، فقد شهدت البوسنة والهرسك – بشكل خاص – عمليات هجرة أيضًا إلى كرواتيا وصربيا، والسبب الرئيس في ذلك هو أن الكرواتيين والصرب الموجودين في البلقان هاجروا إلى هذه البلاد خلال الحرب التي كانت في البوسنة والهرسك.

وفقًا للبيانات ولاستطلاعات الرأي التي حُصل عليها، فإن الغالبية العظمى من مهاجري البلقان هم من الشباب. وكان الرجال عمومًا يهاجرون في السنوات الأولى من ظاهرة الهجرة فيما هاجرت النساء بشكل مكثف في السنوات الأخيرة. فيعمل ما يقرب من نصف الرجال في قطاع البناء الذي لا يتطلب مهارات، في حين تعمل النساء في قطاع الخدمات بشكل عام. بالإضافة إلى أن الغالبية العظمى من المهاجرين هم أفراد لم يكملوا تعليمهم الإعدادي أو الثانوي. وأما نسبة خريجي الجامعات بين المهاجرين، فهي لا تتعدى الـ١٠٪، فيهاجر قسم كبير من خريجي الجامعات بشكل عام إلى الولايات المتحدة وكندا وإنجلترا.

يعد دخل العمال الذي يرسله المهاجرون أحد مصادر الدخل المُهمة في دول البلقان، فيبلغ إجمالي دخل العمال في الدول الستة – التي جرت دراستها – ٨,٣ مليارات دولار. يمثل هذا الرقم ٨,٥٪ من إجمالي الناتج المحلي لاقتصادات الدول. وفيما يلي أعلى معدلات لدخل العمال في هذه البلدان، وهي بالترتيب كالآتي: صربيا ٣,٤ مليارات دولار، والبوسنة والهرسك مليارا دولار، وكوسوفو ١,١ مليار دولار. أما البلدان التي لديها أعلى معدل لدخل العمال بالنظر إلى الناتج المحلي الإجمالي فهي بالترتيب: كوسوفو بنسبة ١٦,١٪، والبوسنة والهرسك بنسبة ١١,٣٪، والجبل الأسود (كارا داغ) بنسبة ٩,٤٪.

وقد أكّد المهاجرون أن السبب الرئيس وراء إرسالهم الأموال للبلاد هو دعم ذويهم الباقين في بلدهم، فتستخدم تحويلات دخل العمال في الغالب لتلبية الاحتياجات اليومية.

صادر عام ٢٠٢٢ عن مركز أركان للدراسات والأبحاث والنشر
الآراء الواردة بالدراسة تعبر عن وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز، ويمنع نقل هذه الدراسة أو نسخها أو ترجمتها أو أي جزء منها إلا بإذن مسبق من المركز
info@arkan-srp.com

أركـان للدراسات والأبحاث والنشر

Arkan for Studies Research and Publishing